الصراع الأمريكي الإيراني

في نقطة حِوار بين أعضاء مركز الرافدين للحوار-RCD

تشهد الساحة السياسية الدولية توتراً كبيراً يتمثَّل في الخلاف الأمريكي – الإيراني، يُرافق ذلك الخوف من اندلاع الحرب بين الدولتين، سيَّما ورسائل التصعيد الأميركية تترا، من إرسال الأساطيل وسواها، وتحريك للداخل الإيراني. في المُقابل يرى البعض بأنَّ وقت الحوار قد حان، وثمَّة احتمال كبير بتوصُّل الطرفين لحلول دبلوماسية، وذلك عبر الجلوس إلى طاولة التفاوض.

حول ذلك، أبدى السادَّة أعضاء مركز الرافدين للحِوار R.C.D رؤيتهم، من خلال النقاش الذي دار بينهم حول موضوع "الصراع الأمريكي- الإيراني"، وقد كان من ضِمن المُتحاورين كل مِن السادَّة:

١. الأستاذ فرهاد علاء الدين| مستشار رئيس الجمهورية
٢. الفريق الركن احمد الساعدي| ضابط عسكري
٣. الدكتور نعمه العبادي| دكتوراه في العلوم السياسية- جامعة بغداد
٤. الأستاذ جواد المدني| كاتب وباحث
٥. الدكتور فلاح شمسه| كاتب وباحث
٦. الأستاذ علي غالب الخفاجي| رجل اعمال
٧. الدكتور أكرم عبد الكريم| استاذ مساعد في كلية العلوم- الجامعة المستنصرية
٨. الدكتور محمد صبار| دكتوراه في اللغة العربية- جامعة الكوفة

وتضمَّن الحِوار الذي دارَ بينهُم ما يأتي:

الأستاذ علي غالب الخفاجي:

"أمريكا ونظرية التأطير الغوبلزية": في الأول من شهر مايس من عام ١٩٤٥م انتحرَ "جوزيف غوبلز" وزير الدعاية النازية في حكومة هتلر! وقد كان واحداً من أشهر غاسلي الأدمغة على مرّ التاريخ، و"هتلر" مدين له بالولاء والطاعة العمياء اللّتين حصل عليهما من الألمان، فالوزير المُحنّك، والخطيب المُفوَّه كان أحد أهم أعمدة النازية وصانعي مجد هتلر.

اخترع "غوبلز" نظرية "التأطير" وهي نظرية تُوهِم الشعب بأنَّه يختار، ولكنه في الحقيقة لا يختار إلاَّ ما تُريده له الحكومة أن يختار! ولشرح نظرية التأطير للعامَّة يضرب خبراء السياسة هذه الأمثلة لتُسهم في تيسير فهم النظرية:

- عندما تزور صديقك في بيته ويسألك هل تشرب الشاي أم القهوة فهو قد ألغى من ذهنك بقية الأشياء المتاحة وجعلك تختار أحد أمرين يوافقانه، لقد قام فعلياً بتأطير تفكيرك!

- عندما تقول أم لطفلها: هل ستنام في السابعة أم التاسعة؟ فإن الطفل سيختار الساعة التاسعة موعداً لنومه، ويشعر بنشوة النصر بأنه حقَّق نصراً في مُفاوضاته مع أمّهِ، دون أن يدري أنَّ أمه تريده أن ينام في التاسعة فعلاً، وقد جعلت، ما تُريد، خياره الأمثل!

نظرية التأطير هذه هي التي تعتمدها الدول الكبرى اليوم، فبعد أحداث ١١ سبتمبر خرج "جورج بوش" ليقول للعالم: إمَّا أن تكونوا معنا أو تكونوا مع الإرهاب! وحتى اللحظة لا يوجد تعريف واضح للإرهاب، ولكن، وبسبب نظرية التأطير، صار من تُحاربه أميركا إرهابياً، وليس على العالم إلاَّ مُوافقتها، حتى مساحة الحياد الرمادية ممنوعة، إن لم تكن معها فأنتَ ضدَّها!

وأمريكا "ترامب" اليوم طوَّرت نظرية التأطير النازية في صراعها مع العالم الإسلامي، مُوحِيةً للدول والشعوب الإسلامية: إمَّا أن تصطفوا معي وتُقاطعوا إيران، أو تكونوا عُرضةً للعقوبات الاقتصادية والسياسية وربما العسكرية.

الدكتور نعمه العبادي

في إطار التصعيد بين أمريكا وإيران، وبخطوة مُفاجئة؛ أمَرَت أمريكا رعاياها "الذين، لا يُمثِّل تواجدهم، ضرورة عالية" الخروج من العراق، وعلَّلت ذلك بأنها تلقَّت معلومات عن تهديداتٍ أكيدة لرعاياها ومصالحها من مجموعاتٍ عراقية وصفتها بأنَّها ذات علاقة بإيران، كما أنَّ جهات أجنبية أخرى، لها تواجد في العراق، قامت بنفس الخطوة.

في تغطية لقناة "الحُرَّة عراق" وضمن نشرة الساعة الثامنة، وبعد تفصيل قرار الخارجية الأمريكية وتصريحات وزيرها بشأن إخراج الرعايا الأمريكان من العراق؛ وجهَّت مُقدِّمة النشرة سؤالاً إلى مُراسل القناة في الخارجية الأمريكية، مفاده، "ألا تنعكس هذه الخطوة سلباً على الأمن العراقي الذي يستعيد ثقة المواطنين والعالم به بعد الانتصارات المهمة التي تحقَّقت على عصابات داعش الإرهابية، أو يُعطي انطباعاً بحالة عدم وجود الأمان؟"، فكان جواب المراسل: "إنَّ وزير الخارجية ينظر إلى مصلحة أمريكا والأمريكيين، وهي فوق كل الاعتبارات، مُقدِّمةً، بذلك، مصلحتها على كل مصلحة".

الإجابة دقيقة وواقعية من وجهة نظرهم، وينبغي أن تكون درساً لنا في التعامل بواقعية لجهتِنا ومصالحنا كما يتعامل الآخرون.

في أحاديث سابقة حول موضوع المطالبة بإخراج القوات الأمريكية من العراق إثر مُطالبات لقوى شعبية وسياسية؛ جاءت الإجابة الرسمية الأمريكية: "إذا انسحبنا من العراق، فسيخرج المستثمرون، وحتى الأوربيّون

سينسحبون إثر انسحابنا". وفي هذا الجواب يتضّح منطِق الواقعية كمبدأ عمل للولايات المتحدَّة الأمريكية، وإنَّ استخدام خروج المستثمرين والجهات ذات النفع للعراق هو أداة ضغط للحصول على مُوافقات رسمية منه. كذلك فإنَّ في هذه الخطوة، التي تتَّخذها أمريكا، رسالة تتضمَّن عِدَّة مُستويات للمُخاطبة، أحدها الإيحاء للمُستثمرين، ولكلّ وجود أجنبي في العِراق، بالخروج من العِراق، على أساس أنَّهُ بلد غير آمِن.

إنَّ هذا المُمارَسات، المُوجَّهة والمقصودة من الأمريكان، تُعدُّ إضراراً حقيقياً غير مُبرَّر، سيَّما في ظل موقف إيجابي يُمارسه العراق تُجاه حالة التصعيد الجارية في المنطقة. كما ولا يُمكن تبرير، هذه الخطوة، على أنَّها جاءت - كما يصفها الأميركيون - في ظل تهديدات تطال المصالح الأمريكية في العراق، إذ أنَّها لم تسحب رعاياها في ظروفٍ أشدّ وأصعب وأكثر خطورة من الآن، أو حينما كانت التهديدات واقعية وحقيقية.

الأكثر إيلاماً، هو أنَّ أمريكا تضع رئيسٍ الوزراء، الذي يتعامَل مع الأحداث بموضوعية، بين المطرقة والسندان، تجاه الحدث القائم، كل منهما أشدُّ ضرراً من الآخر. فما بين ضغط بمثل هذا الانسحاب، والذي يُمثِّل عملية تحريض مُوَّجهة ضد الأمن في العراق وسُمعتِهِ ومصالِحه، وبين دفعه للدخول في مُواجهة مع قوى وجهات سِياسية وعسكرية لها أثرها وثقلها في الواقع العراقي، في وقتٍ له حساسيَّاته البالغة، وظرفٍ يوجب، للتعامل معها، خصوصيَّة كبيرة.

يحتاج العراق، في ظل هذه المعطيات، مركزاً للقرار يكون أكثر براغماتية في تعامله مع كل الأطراف، شريطة أن تكون المصلحة العراقية مُقدَّمة على الجميع، كما إنَّ على جميع الأطراف العراقية أن تتحمَّل مسؤولياتها في قطع الطريق أمام رَغبَات غير نزيهة تُريد الإضرار بهذا البلد وأهله، وعلى الجميع أن يفهم، وبوضوحٍ تام "أنَّ العراق الموجوع من أكثر من جُرح غير مُهيَّأ لأي مُغامرة أو مُقامرة تُرتكب بحماقة، مهما كان التبرير الذي يُطرح لها".

الدكتور محمد صبار:

لن يُراهن الأمريكان على مجموعة قيادات عربية اتسمَّت بالغباء كما وَصف البعض، بل هنالك أكثر من رسالة يسعى هذا التصعيد إيصالها، قد يكون من ضمنها تحريك الداخل الإيراني ضد العقل الديني الحاكم من خِلال عِدَّة مُحاولات فِكرية واقتصادية، أو مُحاولات عسكرية في آخر المطاف.

الدكتور فلاح شمسه:

لقد نجحوا في تغيير القلوب العراقية من خلال صرفهم مليار دولار على الإعلام المباشر والمُوجَّه للعراق، من خلال الحرّة، وخلقوا قنوات بِثٍ أخرى تعمل تحت طواقم بث عراقية، ولكن المليار الذي صرفوه على إيران لم يُزعزع شعبها ولَم ينالوا منه مردودا.

إنَّ الحصار الذي طبَّقوه على العراق طيلة (١٣) سنة كان قد دمَّر النفوس والأخلاق وقتل الألوف وأسقط الوطنٍ؛ هو ذات الحصار الذي يجعل من الحكومة الإيرانية تُقابل العسكرة الجبَّارة بمثلِها، هي مليئة جبروتاً وتحدِّياً، بينما استسلمت حكومة العراق حينذاك، وأجبروا قائدها على تفتيش غرفة نومه إهانة وتركيعا.

وأمّا المواطنون الإيرانيون، بكافة أطيافهم، الموالون والمعارضون، فهم على ذات العنادِ والرفض والإستماتة، كما عهدناهم إبَّان حرب الثمان سنوات، وذلك من أجل وطنهم وتحرير أرضهم، برغم مُقاطعة كل دول العالم لهم بالسلاح والاقتصاد والمال. وهم الآنٍ ومع الحصار؛ يُحشِّدون آلاف المتطوعين الفدائيين لمواجهة حامِلات الطائِرات! إنَّ الغرب يُسيء قراءتهم لأربعين عاما!

الأستاذ فرهاد علاء الدين:

تسبَّب التوتُّر الأخير بين إيران والولايات المتحدة؛ في إيجاد نقاش غير صحي بين الجهات الفاعلة المحلية في العراق والشرق الأوسط الأوسع؛ مِمَّا يعكسٍ الحد الأدنى من الرؤية المحليَّة لطبيعة البيئة السياسيَّة في واشنطن أو طهران. هذا في حدِّ ذاته يُمكن أن يكون ضارا، لأنَّهُ يكشف طبيعة السياسات الوطنية وكيفية التعامل مع ديناميَّات القوى العالمية. والسؤال هنا هو: إلى أين يقود هذا التصعيد الأميركي الإيراني؟ وما هي السياسة التي سيكون من الأفضل للاعبين المحليين في العراق، وفي بلدان أخرى، اتباعها؟

الدكتور أكرم عبد الكريم:

ماذا لو دخلت مُتغيِّرات لم تكن بالحُسبان؟ إنَّ الحرب ككُرَة ثلج، وبالتأكيد فإنَّ المفاجآت، دوماً وأبداً، تنطلق من هنا (العراق)، فهو مُنطلق كل التبدُّلات في السياسة العالمية، وليس في الإقليم فحسب، بدءاً من الفوضى البنَّاءة، إلى الشرق الأوسط الجديد... فإلى أي مدى يُمكن أن يحدث ذلك؟

الفريق الركن أحمد الساعدي:

قبل أيَّام، كتبتُ السيناريو المحتمل للحرب، وكان هذا أسوأ احتمال، ولكوني عسكري.. فإنَّ تفكيري دائِماً ما يبتعد عن الدبلوماسية، ولا يعتمد عليها، لأنَّ لدينا معرفة عن طبيعة الخطط للحملات الكبرى، والتي تتضمَّن دائماً الخطة العامَّة للعمليات العسكرية، وتسندها خططٌ أخرى، مثل خطَّة المخادعة وخطة الإعلام وخطة الدبلوماسية، وغيرها مِمَّا لا مجال لذكرها.

مهمَا صرَّح به الرئيس الأمريكي أو المسؤولون الأمريكيون فهو بالنتيجة جزء من خطة المخادعة الاستراتيجية، وذلك بأن يُدعى للتفاوض، وتعمل الدبلوماسية على وفق ذلك، ويُروِّج الإعلام له؛ ولكن حقيقة الأمر ميدانياً هي خِلاف ذلك، إذ لا تزال الحشود العسكرية تتوجَّه إلى منطقة الخليج، والإجراءات العسكرية الميدانية تسير على قدَمٍ وساق، وإن صرَّحوا بأنَّ ذلك هو لأجل حماية المصالح الأمريكية.

تفسيري لهذا التصريح هو بمثابة إشارةً حرب بالنيابة، وستوكل المهمة إلى إسرائيل لشن عدوانها، وستكون حرب ذات أهداف مُحدَّدة وبجدول زمني مُحدَّد لأجل خلق ظروف تُساعد على قبول التفاوض وتحريك الوضع العام، وستكون شبيهة بحرب ١٩٧٣.

هنالك احتمالية كبيرة جداً بتبلور قناعة لدى الطرفين في ضرورة الجلوس على طاولة التفاوض، والتي ستنحصر على ملفات مهمة، كالبرنامج النووي وحزب الله. أمَّا اليمين المتشدد في أمريكا؛ فهو الذي يقرع طبول الحرب، وهدفهم الأساسي منها أمن إسرائيل أولاً وأخيراً، ويرغبون بتحقيق ذلك خلال فترة رئاسة "ترامب".

أمَّا بخصوص الموقف الأوروبي؛ فهو لا يُعوَّل عليه كثيراً، سيَّما إذا ما راجعنا تأريخهم في المواقف الدولية، إذ تجدهم في بادئ الأمر مُعارضين للمنهج والسلوك الأمريكي، ولكنهم بالتالي يخضعون له جرياً خلف مصالحهم مع الولايات المتحدة الأميركية.

هنالك أدوات ضغط سياسي وعسكري مُتوازي لدى الطرفين، ولهذا نجد الأمريكان في حيرةٍ من أمرهم، فهم بين دخول الحرب أو قبول التفاوض بسقفٍ مقبولٍ من الشروط التي تحفظ ماء وجه أمريكا أمام العالم. فهم افتعلوا الازمة؛ والآن يُحاولون إيجاد مخرج لها يضمن لهم هدفين أساسين هما أمن إسرائيل والبرنامج النووي.

من جهةٍ أخرى؛ فإنَّنا لو وضعنا قوة الطرفين في الميزان.. لرجَحَت كفَّة أمريكا، فهي مُتفوِّقة عسكرياً على إيران في البحر والجو والقوة الصاروخية، وكذلك في الحرب الإكترونية، ولكن إيران تتفوَّق على أمريكا بالقوات البرية، مع ميزة أخرى هي الطبيعة الجغرافية، إضافةً إلى ذلك فإنَّ ثقافة الشعب الإيراني ثقافة وطنية، يصعب معها تحييدهم في لحظات الشدَّة.

إننا نعتقد بأنَّ الأمريكان ناظرين لهذا الأمر، ولذا نجدهم يُعبِّرون عن غايتهم من الحرب بتطويع النظام، لا تغييره. فعملية التطويع أقل كلفة من التغيير بالحرب، ولهذا نقول بأنَّ كِلا الخيارين مُمكنين، فالحرب مُمكنة والسلام كذلك، وكلاهما خاضِعٌ لتطوُّرات الموقف والنتائج التي تفرزها أدوات الضغط السياسي والعسكري.

الخُلاصة:

- تعمل أمريكا على جعل، الخيارات المُتاحة أمام خصومها، خاضِعة لنظرية التأطير، بمعنى أنَّ الخيار الذي يختاره الخصم لا يخرج عن رغبتها وإرادَتها.
- العراق بحاجة، سيَّما بمثل ظروفه الآن، إلى مركز واقعي للقرار، يتعامل فيه مع كل الأطراف، شريطة أن تكون المصلحة العراقية مُقدَّمة على الجميع.
- على جميع القوى السياسية العراقية تحمُّل مسؤوليتها تُجاه البلاد والأوضاع الراهنة، وذلك من خلال قطع الطريق أمام تسييد رُؤى فردية أنانيَّة لا تُراعى فيها مصلحة الوطن، أو لا يرشَح منها عبق الروح الوطنية.
- الكفَّة العسكرية تميل لصالح الولايات المتحدة الأميركية، بيدَ أنَّ عوامل مُهِمَّة للإيرانيين توجب النظر والاهتمام، كعامل الأرض والجغرافيا وعامل الإندفاع الوطني للشعب الإيراني.
- ثمَّة احتمالات بنزوع طرفا الصِراع نحو الجلوس إلى طاولة المُفاوضات، وقد يكون التصعيد الأميركي قاصِداً ذلك، أي أنَّه يسعى، من خلال التصعيد العسكري والاقتصادي، إلى دفع إيران للقبول بخطة التفاوض.